

السؤال

أود أن أعرف الكثير عن حجة الوداع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وما أعلنه فيها للأمة.

ملخص الإجابة

- حجة الوداع كانت في السنة العاشرة من الهجرة. تجلّت في حجة الوداع أعظم معاني التوحيد، فقد أهل النبي صلى الله عليه وسلم بالتلبية الخالصة: "لبيك اللهم لبيك...، ثم توجه للطواف والسعي مكبّراً الله، داعياً له ومؤكداً أن التوكل على الله هو سر النصر والتمكين، كما جاء في قوله: "نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده".
- ماذا قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع؟

(إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً فيبني سعد فقتله هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ريانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكمأخذتموهن بأمان الله، واستحلّلتكم فروجهن بكلمة الله، ولكن عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا به إن اعتصمت به، كتاب الله، وأنتم تسألون عنى، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحت، فقال: يا صبيه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات).

الإجابة المفصلة

جدول المحتويات

- أهم الكتب في شرح حجة الوداع
- حديث جابر بن عبد الله عن حجة الوداع
- شرح حديث جابر بن عبد الله في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم

أهم الكتب في شرح حجة الوداع

معرفة الكثير عن حجة الوداع التي حجّها النبي صلى الله عليه وسلم في العام العاشر من الهجرة تقتضي النظر في الأحاديث التي وصفت تلك الحجة، والعناية بالكتب التي شرحتها وبينت تفاصيلها وأحكامها والدروس المستفادة منها، وهي كتب كثيرة، لكن يمكننا

إرشادك إلى أهمها على الوجه الآتي:

- شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، تأليف العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.
- شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، للعلامة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله.
- حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها جابر رضي الله عنه، تأليف العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.
- حجة الوداع، تأليف الشيخ محمد زكريا الكاندهلوi.
- خطبة الوداع فوائد وفرائد، تأليف الدكتور محمد عبد الغني.
- ومنها ما كتبه العلامة ابن القيم في كتابه العظيم "زاد المعاد في هدي خير العباد/ فصل في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم" (285-2/97).

حديث جابر بن عبد الله عن حجة الوداع

ونحن نسوق هنا حديث جابر بن عبد الله كما رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، فقراءته كافية في منح تصور عام لهذا الحديث العظيم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انتَهَى إِلَيْيَ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيٍّ بْنُ حُسَيْنٍ. فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَتَرَعَ زَرْيُ الْأَغْرَى، ثُمَّ نَزَعَ زَرْيُ الْأَسْفَلِ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَهُ بَيْنَ ثَدَيْيِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ شَابٌ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، يَا أَخِي، سَلْ عَمًا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلُّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صَفْرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنِيهِ، عَلَى الْمِشْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا.

فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحْجُّ، ثُمَّ أَذْنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌ، فَقَدِيمَ الْمَدِينَةَ بَشَرْ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعْهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةَ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بْنُتُ عَمَيْسٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اْغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِري بِتُوبٍ وَأَحْرِمي».

فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَثُ بِهِ نَاقَّتُهُ عَلَى الْبَيْنَادِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدْبَصِرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشِ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ.

فَأَهَلَّ بِالْتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهَلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَتَهُ، قَالَ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَسْنَا نَثُوْيِ إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَدَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَا: **(وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصْلًى)**. البقرة/125، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ - وَلَا أَغْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)** وَ**(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)**، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، قَلَّمَا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَا: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)**. البقرة/158 «أَبْدَأْ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقَيْ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلُ هَذَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةَ، حَتَّى إِذَا أَنْصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعَدَتَا مَسْنَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: **«لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَذِي، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَذِي فَلَيَحِلُّ، وَلَيُجْعَلَهَا عُمْرَةً»**، فَقَامَ سَرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشَمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْلَمُنَا هَذَا أَمْ لِأَبْدِ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: **«دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجَّ، مَرَّتِينِ»**، لَا بَلْ لِأَبْدِ أَبْدٌ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنَ الْيَمِنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيَّاً، وَأَكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَمْرَنِي بِهَذَا، قَالَ: فَكَانَ عَلَيْهِ يَقُولُ بِالْعَرَاقِ: فَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعْتَ، مُسْتَفْتِيَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: **«صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟**» قَالَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَهُلُّ بِمَا أَهُلُّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: **«فَإِنَّ مَعِي الْهَذِي فَلَا تَحِلُّ»**، قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَذِي الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْيَمِنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَأْتَى، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصْرُوا، إِلَّا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَذِي.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنْيَ، فَأَهَلُوا بِالْحَجَّ، وَرَكِبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهُرَ وَالعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَبْلِاً حَتَّى ظَلَعَ السَّمْسُ، وَأَمْرَ بِقَبْيَةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضَرِّبُ لَهُ بِتَمَرَّةٍ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَشَكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفةَ، فَوَجَدَ الْقَبْةَ قَدْ ضَرَبَتْ لَهُ بِتَمَرَّةٍ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا رَأَيْتِ السَّمْسُ أَمْرٌ بِالْقُصُوَاءِ، فَرُجِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ:

«إِنِّي دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحْرَمَةٌ يَوْمَكُمْ هَذَا فِي شَهِرِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنِّي أَوْلَ دَمٍ أَضْعُعُ مِنْ دَمَانَا دَمَ ابْنِ زَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَهُ هَذِئُلَ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوْلُ رِبَا أَضْعُعُ رِبَا رِبَا عَبَّاسَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَأَتَقْوَا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَحَدُّهُمُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلُتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكُلِّمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئنْ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلَنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ أَحَدُّهُمُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِي كُمْ مَا لَنْ تَضْلُلُوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ ثَسَائُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشَهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: إِنْ أَصْبَعَهُ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكِثُهَا إِلَى النَّاسِ، «اللَّهُمَّ اشْهِدْ، اللَّهُمَّ اشْهِدْ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ».

ثُمَّ أَذْنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَى الظَّهَرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخْرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاهَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزُلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفَرَةُ قَلِيلًا، حَتَّى غَابَ الْقَرْصُ، وَأَرْدَفَ أَسَامَةَ حَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَقَّ لِلْقَصْوَاءِ الزَّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيَمْنَى: «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ»، كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا، حَتَّى تَضَعَّدَ، حَتَّى أَتَى الْمُرْدَلَفَةَ، فَصَلَى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعَشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَرَهُ وَهَلَلَهُ وَوَحْدَهُ، فَلَمْ يَزُلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جَدًا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسَ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشِّعْرَ أَبْيَضَ وَسِيمًا، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْثَ بِهِ طُعْنَ يَجْرِيَنَ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْتَظِرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْتَظِرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْتَظِرُ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ، فَحَرَّكَ قَلِيلًا، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةِ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبِيعِ حَصَّيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَّةٍ مِنْهَا، مِثْلَ حَصَّةِ الْخُذْفِ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِيِّ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَتَحَرَّ ثَلَاثًا وَسِتَّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَغْطَى عَلَيْهَا، فَتَحَرَّ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدِيهِ، ثُمَّ أَمَرَ مَنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِيَنْصُعَةٍ، فَجَعَلَتِ فِي قِدْرٍ، فَطَبِخَتِ، فَأَكَلَاهَا وَشَرِبَاهَا مِنْ مَرْقَهَا.

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظَّهَرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: «اِنْزِعُوا، بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ، فَتَأَوَّلُوهُ ذَلِلُوا فَشَرِبُ مِنْهُ». ■

شرح حديث جابر بن عبد الله في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم

وقد أورد الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله أربعاً وأربعين ومائة فائدة في شرح هذا الحديث، تنوّعت ما بين الفوائد الفقهية والعقائدية والسلوكية والتربوية، ونحن نختصرها هنا بالفوائد الآتية:

قال الشيخ رحمه الله:

"من فوائد هذا الحديث:

- أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في السنة العاشرة من الهجرة.
- أن الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على طلب العلم ذكورهم وإناثهم لقوله: (فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع).
- أن طلب العلم لا يختص بالرجال فكما أن الرجل يشرع له طلب العلم بل يتعمّن عليه إذا كانت عبادته لا تقوم إلا به فإنه يتعمّن عليه كذلك المرأة ولا فرق.

- أنه ينبغي للإنسان أن يستحضر أنه في مجده إلى مكة وإحرامه أنه إنما يفعل ذلك تلبية لدعاء الله، قال الله تعالى: **{وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَارِيَاتِنَّ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ}** الحج/27، فالآذان بأمر الله يعتبر أذاناً من الله فإذا كان الله هو الذي أذن فأنا أجبيه وأقول: لبيك اللهم لبيك..... الخ.
- أن التلبية توحيد خالص؛ لأن الإنسان يقول: لبيك اللهم لبيك، ولبيك هذه جواب، جواب دعوة، ولهذا إذا دعي أحدهنا فقيل: يا فلان! قال للداعي: لبيك، وهي بصيغة الثنوية، ولكن المراد التكرار، ومن ثم يقول التحويون إنها ملحقة بالثنوية؛ لأن لفظها لفظ تثنية ومعناها التكثير، والتلبية هي الإجابة، فكأنك تقول: يا رب إجابة لك بعد إجابة، وتكرر توكيداً.
- الثناء على الله عز وجل بالحمد والنعمة، فإنه هو المتفضل عز وجل بذلك: **{وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** النحل/53.
- أنه ينبغي للإنسان الحاج أو المعتمر أن يبادر حين الوصول إلى مكة إلى الذهاب إلى المسجد ليطوف؛ لأن هذا هو المقصود ولا ينبغي أن يجعل غير المقصود مقدماً، بل المقصود ينبغي أن يكون مقدماً على كل شيء.
- حرص الصحابة رضي الله عنهم على العلم بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم ليتبعوه فيها.
- أن السنة كما تكون بالفعل تكون كذلك بالترك، فإذا وجد سبب الفعل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعله دل هذا على أن السنة تركه.
- أنه ينبغي لك وأنت تسعى أن تستشعر بأنك في ضرورة إلى رحمة الله عز وجل كما كانت أم إسماعيل رضي الله عنها في ضرورة إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، فكأنك تستغفث به تبارك وتعالى من آثار الذنوب وأوصابها.
- حسن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الحق.
- أن التعليم يكون بالقول وبال فعل لقوله: فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى وقال: **«دخلت العمارة في الحج»**.
- أن الربا موضوع كله ولا يؤخذ مهما كان، فالربا الثابت في ذمم الناس يجب وضعه ولا يجوز أخذه حتى وإن عقد قبل إسلام العاقد أو قبل علمه، أما ما قبض من قبل من ربا وأتى الإنسان موعضة من الله فلا يلزمته تقويمه والتخلص منه، لكن ما بقي في ذمم الناس فإنه لا تتم التوبة منه إلا إذا تركه ولم يقبضه.
- بيان عدل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ظاهر من قوله: **«وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ريانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع»**، فأول ما قضى عليه من أمر الجاهلية ما كان يتصل بأقاربه وهذا كما قال في الحديث الصحيح: **«وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**، وهكذا يجب على الإنسان أن يكون قائماً لله بالعدل، لا يفرق بين قريب وبعيد، أو غني وفقير، أو قوي وضعيف، الناس في حكم الله واحد لا يتميز أحد منهم بشيء إلا بما ميزه الله به.
- وفيه الإشارة إلى أن الذي يتولى طلب الرزق وحصول الكسوة هو الرجل، لقوله: **«ولهن عليكم رزقهن وكسوتهم بالمعروف»**، أما المرأة فشأنها أن تبقى في بيتها لإصلاح حالها وحال زوجها وحال أولادها، وهذا ما كان عليه السلف الصالحة رضوان الله عليهم.
- وفيه الحث على الاعتصام بكتاب الله، والرجوع إليه، وأن به العصمة من كل سوء، فإن قال قائل: ما تقولون في السنة التي لم تكن موجودة في القرآن بعينها؟

قلنا: كل سنة سنها الرسول صلى الله عليه وسلم فهي موجودة في القرآن، قال تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَةً حَسَنَةٌ)** الأحزاب/21، وقال تعالى: **(وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)** الحشر/7، وقال تعالى: **(فَلَمَّا كُنْتُمْ تُحْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُخْبِنُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** آل عمران/31، وقال تعالى: **(فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَإِنَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)** الأعراف/158، فكل سنة سنها الرسول صلى الله عليه وسلم فهي من القرآن لكن ليس من اللازم أن ينص عليها بعينها.

- اعتراف الصحابة رضي الله عنهم بالجميل للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله:

«نَشَهِدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَّحْتَ»، وهذه الشهادة التي شهدتها الصحابة رضي الله عنهم يجب على كل مؤمن أن يشهدها، فنحن نشهد أنه قد بلغ وأدى ونصح عليه الصلاة والسلام

- جواز الإشارة إلى مكان الله عز وجل، وهو في السماء، ولكن هل هذا المكان محيط به؟ الجواب: لا، بل وسع كرسيه السموات والأرض، فهو سبحانه وتعالى فوق سماواته، على عرشه، عليٌ على خلقه بذاته وصفاته، لقوله تعالى: **(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)**.
البقرة/255.

- أنه ينبغي للإمام بل يجب على الإمام أن يكون أول من يبادر إلى ما يأمر به، ودليله أن الرسول صلى الله عليه وسلم دفع وقد شنق للقصوae الزمام، وما كان ليقول للناس السكينة السكينة وهو تاركها تمشي بسرعة، بل هو أول من يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام، وهذا الإمام الذي يقتدي به سواء كان إماما في التنفيذ أو إماما في العلم فإنه يجب عليه أن يتحرى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يقتدي به.

- حسن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لما استرعاه الله حتى في البهائم؛ وجه ذلك أنه كلما أتى حبلا من الجبال أرخي لناقته قليلا؛ فإن هذا من حسن رعايته لها ورأفته بها صلى الله عليه وسلم.

- تواضع النبي صلى الله عليه وسلم حيث أردف الفضل بن عباس رضي الله عنهما دون أشراف القوم، وأردف في دفعه من عرفة إلى مزدلفة أسمامة بن زيد رضي الله عنه وهو مولى.

- وفيه دليل على كرم النبي صلى الله عليه وسلم حيث أهدي مائة بدننة عن سبعمائة شاة، وكثير من الناس اليوم يشق عليه إهداء شاة واحدة حتى إنه يختار النسك المفضول على الفاضل تفاديا للهدي.

- وفيه أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم أسوة؛ لقوله لبني عبد المطلب: **«اِنْزِعُوا بْنِي عَبْدِ الْمَطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سَقَايَتِكُمْ لَنْزَعْتُ مَعَكُمْ»**؛ لأنه لو نزع لكان سنة يأخذ بها الناس، وحينئذ يغلبونهم على السقاية.

- وفيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم حين شرب من الدلو الذي يشرب منه الناس، ناولوه دلوا فشرب منه عليه الصلاة والسلام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين" انتهى - ملخصا - من كتاب "شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم" (ص/85-139).

طالع هذه الأوجوبة لتعرف المزيد: (209483, 263281, 242836, 291006, 43640, 47732, 132298, 2665, 129458).

وَاللهُ أَعْلَمُ.